Archive of SID

Arabic Language & Literature
Vol. 17, No. 1, Spring 2021
Manuscript Type: Research Article

https:// journals.ut.ac.ir/
Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
DOI: 10.22059/jal-lq.2020.291575.977

The Polarities of the City in Mohammad Afifi Matar's Poetry; Signs of Defamiliarization in Functions and its Semantic Aspects

Hamed Poofheshmati[1]*, Shahryar Hemmati[2]

1. Ph.D. Graduate, Department of Arabic, Razi University, Kermanshah, Iran

2. Associate Professors, Department of Arabic, Razi University, Kermanshah, Iran

(Received: November 03, 2019; Accepted: March 15, 2020)

Abstract

The Polarity of place in contemporary Arabic poetry recognized through the frequency of acceptance of semantic contradictions and dualism in place. Meanwhile, in the understanding of the many concepts in the text, the Polarity of the city has a prominent function and it is a great help to the reader in accepting the depth of the poet's thoughts, images, and individual and social moods. The city in the poetry of Mohammad Afifi Matar, citing the depth of overall image that can be obtained from his poetic examples, has a lot of dual semantic structure. Because the poet on the one hand paints a complex and profound picture of city and on the other hand it is trying to expand its elements and belongings to create a different perception of its concepts in the mind of the reader. This research, using a descriptive-analytical approach, seeks to examine the Polarity of city functions in Mohammad Afifi Matar's poetry. Briefly, the result is telling that the poet to have a defamiliarization look with the city, goes beyond the standard language, insists on repeating it, and characterized by the interaction between different semantic contrasts that have spatial paradoxical aesthetic effects. On the one hand, he uses the inherent Polarity and objective reality, stability and weakness, hunger and well-being, and also time and place to define the narrative characteristic of what happened in the city; he extends the scope of its semantic functions on the other hand.

Keywords

Polarity, Contemporary Egyptian Poetry, City, Mohammad Afifi Matar.

* **Corresponding Author, Email:** poorheshmati@gmail.com

www.SID.ir

Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٧، العدد ١، ربيع ٢٠٢١م
صفحة ١-٢٧ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

تقاطبات المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ بصمات انزياحية في وظائفها وأبعادها الدلالية

حامد پورحشمتي[١*]، شهريار همّتي[٢]

١. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة رازي، كرمانشاه، إيران
٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/١١/٣ ؛ تاريخ القبول: ٢٠٢٠/٣/١٥)

الملخّص

لقد عُرِف التقاطب المكانيّ في الشعر العربيّ المعاصر بميسم تقبّل الأضداد والتنافرات الدلالية الّتي يمكن أن يحملها المكان في توجيه دلالاته ومعانيه الانزياحية، وتبعاً له يلعب تقاطب المدينة دوراً كبيراً في الكشف عن المفاهيم المتعدّدة الّتي ينطوي عليها النصّ ويساعد القارئ على قبول عمق الأفكار والصور والحالات النفسية والاجتماعية الّتي تخالج الشاعر. إنّ المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر ـ استناداً إلى عمق الصور العامّة الّتي يمكن انتشالها من نماذجه الشعرية ـ كانت إلى حدّ بعيد، تكويناً دلالياً قائماً على مجموعة من التقاطبات؛ إذ يقدّم الشاعر من جهة صورة معقّدة وعميقة منها، ويحاول من جهة أخرى أن يخلق إدراكاً مختلفاً لمعانيها في ذهن القارئ من خلال زيادة عناصرها وما يمتّ بصلة دانية منها. تنوي هذه الدراسة باتّباعها النهج الوصفيّ - التحليليّ أن تتناول تقاطب وظائف المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر وتدلّ نتائجها بوجه الإجمال على أنّ الشاعر ليكسب المدينة نظرة انزياحية أقصى من اللغة المعيارية، يلحّ على تكرارها ويستخدمها على أساس الامتزاج بين معاكسات دلالية مختلفة ذات مسحات من جمال التقاطبات المكانيّة على غرار تقاطب الذاتية والموضوعية، وتقاطب الصمود والتواني، وتقاطب الجوع والرخاء، وتقاطب الكرونوطوبية، ليؤطّر من جهةٍ سردية أحداثها ويفسح من جهة أخرى مدى وظائفها الدلاليّة.

الكلمات الرئيسة

التقاطب، الشعر المصريّ المعاصر، المدينة، محمّد عفيفي مطر.

* الكاتب المسؤول
Email: poorheshmati@gmail.com

www.SID.ir

Archive of SID

مقدمة

لقد حظيت المدينة في الشعر العربيّ المعاصر باهتمام واسع؛ فهي مكان مفتوح لا محالة منه في كلّ مناحي حياة الشاعر المتحضّر؛ إذ ينظر إليها في مجمل نظراته بوصفها مكاناً قادراً على امتلاك خصائص متقاطبة تضمن ميزة الانتماء أو الاغتراب معاً؛ فتساعد ملامحها على الاستجابة الشعورية والخيالية لأوصاف السرد وعلى الخصوص حينما يعتمد عليها الشاعر في معرفة عالم المحسوسات الّذي يطابق عالم الواقع وقد يخالفه. قد تحمل المدينة علامات انزياحية متقاطبة ترفد القارئ بطرق شتّى على تجسيد الرؤية الشعرية للشاعر عن قبول المكان أو رفضه وهي تنبثق في الشعر العربيّ المعاصر عن ميسم رحبة الخيال واتّساع الصور لكثرة ملامحها وما تشمله من دلالات متطوّرة مأخوذة من الصور الواقعية الاجتماعية والذهنية المتخيلة. تبعاً لذلك لم تعد المدينة في الشعر المصريّ المعاصر مجرّد مكان يتردّد اسمه وحسب، بل تساهم على الانزياح عن المألوف في إنتاج صور النصّ ومن ينشده بما تختزنه من خوالج أو ما تبعثه من أحلام ينوي بها الشاعر أن يعيد بناءها. لقد ابتدأ تمظهر وظائف المدينة الشعرية وأوصافها الانزياحية منذ ارتبط بها الشعر العربيّ وأقام معها علاقةً إيجابيةً وسلبيةً تدلّ على تنافر موقف الألفة والنفور منها، على الخصوص لدى الشعراء الريفيين المعاصرين الّذين هاجروا إلى المدن الأخرى، تشبه تجاربهم في طبيعة الصدمة[١] على صعيد الاغتراب النفسيّ والاجتماعيّ.

يعتبر محمّد عفيفي مطر[٢] شاعراً عربياً كبيراً ينحدر من جيل السبعينات الطالع في البلدان العربية. لقد استدعت حياته مغادرة قريته ثمّ مغادرة بلاده غير قليل وأثّرت هذه الرحلة في وجدانه ونفسه حتّى ترسّخ تعلّقه بمؤشّرات البيئة، وأوصله إلى مستوى شعوريّ يدعى بشاعر

---

١. لأنّ المدينة تعبّر دوماً عن «الاغتراب النفسيّ والاجتماعيّ الّذي أصابهم، ولكنّها تتفاوت في العمق والمدى، فهي عميقةٌ مزمنةٌ ـ مثلاً ـ عند السياب، وهي عميقةٌ لكنّها مرحليةٌ عند أحمد عبد المعطي حجازي، وهي متقلّبة خاضعةٌ لتغير الظروف عند البياتي وهي مبهمةٌ إلّا أنّها واقعية الأسباب عند بلند الحيدري» (عبّاس، ١٩٧٨: ٩٤).

٢. إنّ محمّد عفيفي مطر من مواليد سنة ١٩٣٥م في مصر. لقد كان منذ صغره شاعراً عربياً تنبع مواهبه من مظاهر الأصالة المستمرّة في حركة الشعر المعاصر؛ فهو يسير بهذا الصدد متماشياً مع تجربة غيره من الشعراء السابقين له إبداعاً وتجربة وعلى الخصوص يتأثّر بأدونيس وتجاربه الخاصّة (عصفور، ٢٠٠٩: ١٨٩). في الواقع ينعم الشاعر في نقل المفاهيم وعرض الصور بتكوين شعريّ غامض يفاجئ المتلقّي دوماً بفرادة الخيال وتحويل الواقع ووضع العلاقات اللامنطقية والانزياحية بين المفردات بحيث يمنح هذا الميسم تعبيره معرّفاً فنياً خاصّاً يتابعه الشاعر كي يعرّف المتلقّي إلى شحنة خوالجه وأزماته النفسية والاجتماعية (پورحشمتي وهمّتي، ١٣٩٧: ٢٦).

www.SID.ir

Archive of SID

البيئة (شحاتة، ٢٠٠٣: ١٣-١٤). على الرغم من تجوال الشاعر بين مدن المنفى واغترابه فيها، ولكن يبدو أنّ معظم تجاربه الحقيقية الموحية تتجسّد داخل البيئة وتسطع عادةً من خلال استدعاء المدن العامّة وتقديم مواضيعها الاجتماعية والرمزية. تبدو المدينة في معظم رؤاه مفعمةً بمعالم انهيار وفوضى متفشٍّ في أنحائها وتفيد بالخوالج والأزمات النفسية والاجتماعية الّتي يعيشها الشاعر ويخوض في حناياها خوضاً غير مباشر. من هنا تظهر أهمية البحث في أنّ المدينة تسهم إسهاماً كبيراً في التعرّف إلى نصّه السرديّ ولاسيما حين نجد من خلالها أنماطاً من الحياة والانفعالات الجديدة الّتي يقدّمها الشاعر عبر تصوير الأحداث أو تشكيل الأحلام الّتي ترافقه. تتعدّد أنماط توظيف المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ إذ يركّز الشاعر على بيان أوصافها وحالاتها سواء كانت المدينة الأصل أو مدينة السكن أو مدينة المنفى، ويلجأ بهذا الصدد إلى عناصر الحوار، والتداعي، والمونولوج الداخليّ، والوصف، وتعدّد الرموز، وقس عليها من أساليب تعبيرية تكسب معالم سردها ديناميةً باهرة أو دلالات متعدّدةً ثريةً.

تأسيساً على ما مرّ بنا، يهدف البحث في خطوته الأولى تسليط الضوء على معالم تقاطب المدينة ومكانته الشعرية على الإطلاق في إطاره التنظيريّ ثمّ تقديم مجالات تطبيقه في ثلاث مجموعات محمّد عفيفي مطر الشعرية الّتي قد كانت ميسورة لا عناء في نيلها. من ثمّ تحاول هذه الدراسة منذ البداية إجابات واضحة عن سؤالين وهما:

- ما هي أنماط تقاطب المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر؟
- كيف يعامل الشاعر تقاطبات المدينة وصورها وأوصافها ودلالاتها الانزياحية في شعره؟

خلفية البحث:

لقد نال التقاطب المكانيّ مكانةً تنظيريةً حديثةً في النقد الأدبيّ ولا تعود الدراسة حوله إلى زمن بعيد؛ فأهمّ قراءة نزعت إلى تطبيقه، ترجع إلى غاستون باشلار[1] في كتابه "جماليات المكان"، نشره سنة ١٩٥٧م وعرض فيه موضوع جدلية الداخل والخارج في بعض نماذج مكانية ثمّ وسّعها في تحليل حالات نفسية واجتماعية مختلفة تؤثّر في دلالات المكان وتوليد مفاهيمه الجديدة. زد عليها قراءةً أخرى زاولها يوري لوتمان[2] سنة ١٩٧٣م في كتابه الموسوم بـ«بنية النصّ الفنّيّ» وهو أقام نظريةً متكاملةً عن التقاطب منطلقاً من فرضة محدّدة يصف

1. Gaston Bachelard.
2. Yuri Lotman.

www.SID.ir

Archive of SID

فيها مجموعةً من الظواهر المتجانسة الّتي عندها علاقاتٌ مشبهةٌ للعلاقات المكانية. جان فيسجر هو الناقد الآخر الّذي مارس التقاطب في كتابه «الفضاء الروائيّ» سنة ١٩٧٨م ودرس فيه البنية التنظيرية لنظرية التقاطب المكانيّ على معرفة وظيفته داخل النصّ.

ثمّة دراسات أخرى تناولت التقاطب المكانيّ مباشرةً أو غير مباشرة، ولكن لضيق الفرصة واغتنامها الأفضل نكتفي بذكرها وفقاً لتصنيف زمنيّ منضّد وهي: كتاب «في الشعرية» لكمال أبوديب سنة ١٩٨٧م، كتاب «بنية الشكل الروائيّ (الفضاء – الزمن – الشخصية)» لحسن بحراوي عام ١٩٩٠م، كتاب «شعرية الخطاب السرديّ» لمحمّد عزّام عام ٢٠٠٥م، مقالة «ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطينيّ المعاصر» لإبراهيم نمر موسى سنة ٢٠٠٧م، كتاب «بلاغة المكان قراءة في مكانية النصّ الشعريّ» لفتحية كحلوش سنة ٢٠٠٨م، مقالة « التقاطب والتنافر/التماثل والتناظر قراءة في رواية "ديك الشمال" لمحمّد الهرادي»، لمحمّد تحريشي سنة ٢٠٠٩م، مقالة «التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة» لرقية رستم‌بور ملكي وفاطمة شيرزادة سنة ٢٠١٢م، مقالة «التقاطب المكانيّ في القصّة القصيرة قراءة في (ظنون وراء الأشجار) لرزان المغربي» لصفاء محمّد فنيخرة سنة ٢٠١٦م.

هناك دراسات نقدية كثيرة في شعر محمّد عفيفي مطر، ولكن يبدو أن لا توجد دراسة ملحوظة تقارب ملامح استدعاء المدينة عنده خاصّة ولو اكتشفنا في بحثنا الشامل بعض الدراسات الّتي تخصّ المكان إطلاقاً على غرار أطروحة دكتوراه كتبها عبد السلام حسن سلام وناقشها سنة ١٩٩٥م وهي توسم بـ «الخطاب الشعريّ عند محمّد عفيفي مطر». يدرس فيها الباحث شعر محمّد عفيفي مطر من الجوانب المختلفة ثمّ يخصّص قسماً قليلاً للمكان من خلال المستوى المعجميّ واختيار المفردات فحسب أو ما كتبها حامد بورحشمتي وشهريار همّتي أخيراً حيال المواضيع الشتّى في شعر محمّد عفيفي مطر، ولاسيما مجرّد موضوع الأمكنة المغلقة الّذي جاء في مقالتيهما وهما على أساس الترتيب الزمنيّ للنشر «سردية الأمكنة المغلقة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ "المقبرة" و"المقهى" نموذجاً»، قد انتشرت في العدد الثلاثين من مجلّة إضاءات نقدية في كرج سنة ٢٠١٨م ويرتبط موضوعها بوظائف المقبرة والمقهى في شعره، والمقالة الأخرى «ثنائية الأمكنة المغلقة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ دراسة سردية في "البيت" و"السجن" نموذجاً»، قد نشراها في العدد التاسع العشرين بجامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة سنة ٢٠١٩م حول وظائف البيت والسجن في شعره دون أن تتمّ فيهما إشارة إلى المدينة أو ما فعلناه حولها في الدراسة الحالية.

www.SID.ir

Archive of SID

تحسّباً لما تقدّم، لم نجد إلى الآن دراسةً تهدف إلى تقاطبات المدينة إطلاقاً، وكذلك لم يتمّ في جميع الدراسات الّتي كُتبت في شعر محمّد عفيفي مطر تركيز خاصّ على المدينة ومتابعة وظائفها ودلالاتها وصورها عنده على وجه الخصوص، ناهيك عن المجالات المتقاطبة الّتي استهدفناها وطبّقناها بهذا الصدد في شعره.

تقاطب المدينة في الشعر المعاصر

إنّ التقاطب[1] نوع متطوّر من الانزياح[2] عن النسق المعياريّ في بنية اللغة الفنية المعاصرة؛ فهو أداة نقدية منهجية يستعين به الشاعر في نقل الأحاسيس المتناقضة وتحليل أضدادها لإلقاء الضوء على العلاقات المتبادلة الّتي تحكمها أو تجمعها في مكوّن واحد. يعرف التقاطب كأسلوب رئيس في معرفة التقنيات الانزياحية للمكان أو «أداة منهجية تستند إليها الدراسات المكانية ويعدّ الأداة الرئيسة للكشف عن العلاقات الحاكمة على الأمكنة عناصرها في النصّ» (رستم‌پور ملكي وشيرزاده، ٢٠١٢: ٧٣). يظهر التقاطب عادةً «في شكل ثنائيات ضدّية بين قوى أو عناصر متعارضة بحيث تعبّر عن العلاقات والتوتّرات الّتي تحدث عند اتّصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث» (بحراوي، ١٩٩٠: ٣٣؛ نقلاً عن Weisgerber, 1987: 15). أمّا المدينة بين عناصر المكان فهي تستطيع أن تضمّ مفارقات دلالية وتقاطبات يواجهها الشاعر ويرصدها ليكشف عن آفاق منفتحة على التجارب الشعرية والمشاعر وحدود التعبير، ويصل إلى مخرج تداوليّ يسيطر على منظومة النصّ المراوحة بين تمظهرات البعد الواقعيّ "الموضوعاتيّ" وتقنيات البعد الفنّي.

يرجع مدى صلة المدينة وتقاطبها بالسرد العربيّ إلى أسباب وأطوار عدّة، أهمّها هو انتقال العرب من المرويات الشفهية إلى التدوين[3] ثمّ ترعرع النشاط المكانيّ حول المدينة حتّى

---

1. Polarity.

٢. الانزياح (Écart بالفرنسية وDeviation بالإنكليزية) أو الانحراف نوع من مخالفة القواعد ورفض اللغة المعيارية دون تطرّف وفوضوية في استخدام المفردات؛ فيجلو حول استخدام الألفاظ على هيئة «يمكننا تعيين الانحراف بناء على تكرار سمة لغوية ما، إلى درجة غير عادية، ولو لم تكن في حال انفرادها مختلفة اختلافاً قوياً عن نمط اللغة المعيارية» (عياد، ١٩٨٨: ٨٦-٨٧).

٣. لقد ظهر هذا الانتقال في مدن الكوفة والبصرة وبغداد ثمّ نما النشاط العلميّ المزوّد بطابع علميّ رهنت به عمليات التدوين، في المدن، ثمّ استقطبت المدن من يعنون بالنشاط الثقافيّ بأشكاله العديدة ثمّ احتضنت المدن الأشكال السردية لعلاقتها مع فنّ القصص كقصص البخلاء والمقامات وفي النهاية بلغ دور علاقة المدن بالشعر بعدما استرسخت على وجه التحديد دعائم التدوين والثقافة المكتوبة والنثر الفنّيّ (صالح، ٢٠١٤: ٢٠).

www.SID.ir

Archive of SID

أشغل موقفها في الشعر العربيّ المعاصر مساحةً واسعةً بحيث «يبلغ بهذا الموقف أحياناً حدّ التناقض، ففي جانب تقف المدينة الطاهرة، النقية المعشوقة الّتي تكاد تكون مبرأة من العيوب، وفي جانب آخر تقف المدينة المزيفة القاسية المشوّهة ومن خلال هذين المتباعدين إلى حدّ التناقض تنبثق المدينة الرمز الّتي تجسّد بصفاتها معنى شاملاً يومئ في بعض الأحيان إلى الحياة ذاتها» (حمودين، لاتا، ٤٨)، في الواقع تضمن المدينة في الشعر السرديّ المعاصر «قيماً ودلالات جديدةً توحي على الانفتاح والقابلية والتغير والقدرة على القيادة واتّخاذ المواقف» (توام، ٢٠١٦: ٩٦)؛ من ثمّ بإمكان المدينة أن تأخذ مركزية بناء السرد أو قد تتجاوز الظاهر وتتوالد منها المفردات والحمولات الفكرية والدلالية ثمّ ترتقي إلى التعاكسات الدلالية أو التقاطبات الشعرية.

المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر

تحضر المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر حضوراً لامعاً؛ فقد استخدمها الشاعر في جلّ قصائده ولا يكتفي منها بمجرّد اسم أو حالة بل تتنوّع في النصّ بتتابع يحاكي سلسلة مسار السرد. تكتسب وظيفة المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر شعريتها في نظام من مفردات المدينة الجلية والخفية الّتي تجلو في أشكال مختلفة؛ فيستحضر مدناً مختلفةً بكلّ ملامحها وسماتها وما تحدثه من آثار على نفسيته ونفسيات الآخرين، من ثمّ تشتمل في شعره على مدن مختلفة مثل الحجاز (مرّة واحدة)، وتونس (مرّة واحدة)، ودمشق (ثلاث مرّات)، واليونان (مرّة واحدة) ولندن (مرّتان) والأندلس (مرّتان)، وغرناطة (٢٤ مرّةً)، وأثينا (٣ مرّات)، ولكن الموضوع اللافت الأهمّ في جميعها هو عناية الشاعر بلفظة المدينة العامّة أكثر من توظيفها توظيفاً خاصّاً. لقد جاءت مفردة المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر ٩٦ مرّةً إطلاقاً وبينها تبلغ حصّة مجموعته الأولى «من مجمرة البدايات» ٢١ مرّة، ومجموعته الثانية «ملامح من الوجه الأمبيذوقليسي» ٥٣ مرّةً، ومجموعته الثالثة «احتفالات المومياء المتوحّشة» ٢٢ مرّةً. يدلّ هذا الإحصاء على هيمنة هذا المكان المفتوح وفاعليته الزاهرة في شعره كما يفصح الرسم التالي عن هذا المدّعى ويركّز على تفاصيل نشاطها الكمّي في ٤١ قصيدةً من جميع قصائد الشاعر:

www.SID.ir

Archive of SID

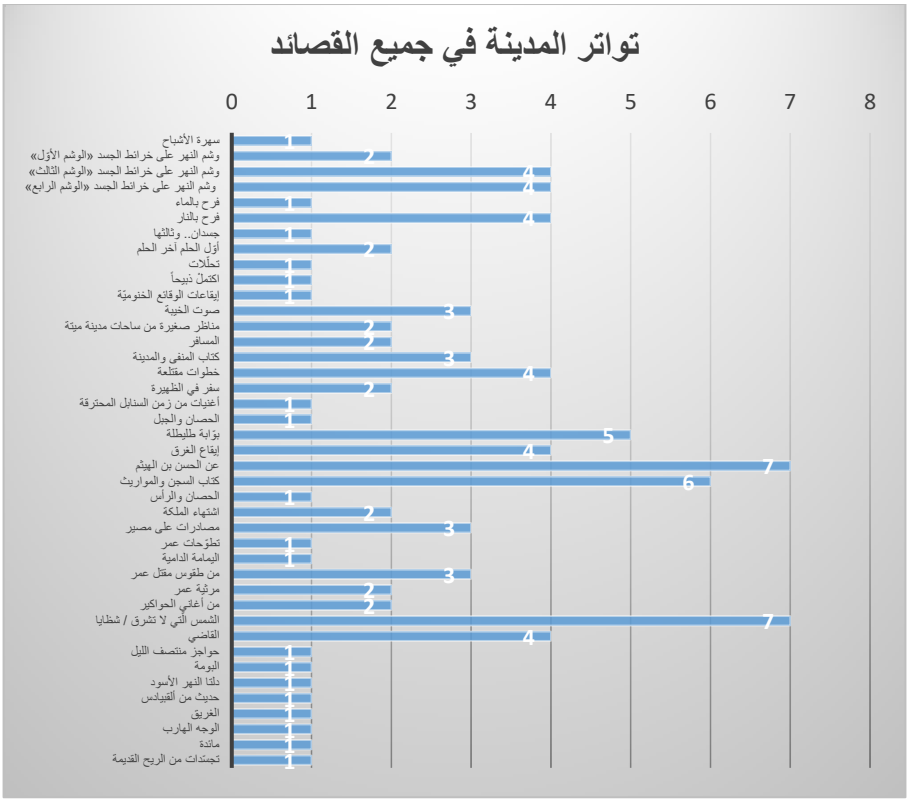

كما ورد في الرسم الأعلى الّذي يمثّل رؤية الشاعر الأولى وتجربته الشعرية حيال المكان إطلاقاً، يتّضح أنّه التفت إلى بثّ علامات المدينة في القصائد المتنوّعة، وهذا الالتفات الواسع يعود إلى لزوم العلاقات الشعرية بين موضوع النصّ ومهمّة المدينة الّتي تنقل تجارب الشاعر ورؤاه وحسّاسياته المكانية في سبيل واحد. من البين أنّ قصيدتي «عن الحسن بن الهيثم» و«الشمس الّتي لا تشرق / شظايا» تشغلان مكانةً أولى بين نظائرهما؛ فهما ترتبطان بالمدينة أكثر من القصائد الأخرى بتواترهما سبع مرّات. تنبع القصيدة الأولى من ديوان «رسوم على قشرة الليل» وهي قصيدة رمزية تراثية سمّاها الشاعر بـ «عن حسن بن الهيثم» تكريماً لمكانة العالم الإسلاميّ الكبير الحسن بن الهيثم. يرسم فيها الشاعر مناخاً مشبهاً للمسرحية الشعرية ويجعل ابن الهيثم يحاور الآخر ويمثّل دوره المستدعى، لكنّ المدينة في هذه القصيدة تأتي متتاليةً في بداية القصيدة أي في مواقف التباين والصلة المنقطعة الّتي يوسّعها الشاعر بين المدينة والنهر (القرية)، ثمّ يميلها إلى مواضيع الضوضى والصرخات العنيفة الّتي تقلّل من شأنها وقيمتها. أمّا الشاعر فيتطرّق في قصيدة «الشمس الّتي لا تشرق/ شظايا» الّتي

www.SID.ir

Archive of SID

صدرت من ديوان «الجوع والقمر» إلى المدينة بادئاً بتغطية ظلمة الليلة على مشهدها ثمّ يوسّع سواد المدينة في صمتها وخلودها إلى النوم حيث تحتاج إلى العون والمساندة الرمزية من وجهة عناصر القرية الحية والجامدة كالريح والطمي والبلبل.

تتابع هاتين القصيدتين على صعيد بذل العناية بمفردة المدينة قصيدةُ «كتاب السجن والمواريث» الّتي ترد في ديوان «رسوم على قشرة الليل» وهي تمسك بالمدينة ستّ مرّات وتتناولها في مواضيع كالموت والمآتم والاستسلام ثمّ تلحقها قصيدة «بوّابة طليطلة[١]» الّتي تقع في نفس الديوان وتملك المدينة خمس مرّات بحيث تسرد شخصيةً سائحةً تغور في أوصاف المدينة وتبحث عن تراثها العربيّ المضاع. من الآن فصاعداً يقلّل عدد تواتر المدينة شيئاً فشيئاً في القصائد الأخرى إلى أربع وثلاث مرّات، ومرّتين، وفي النهاية مرّةً واحدةً بحيث يصير موضوع المدينة فيها إلى رحاب لتكميل الأوصاف والظروف السردية الأخرى.

تقاطبات المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر

يعالج الشاعر المدينة من خلال أفكار ووظائف خاصّة يوجّهها إلى نطاقها المكانيّ والأحداث الّتي تحوم حولها أو يتناولها في حنايا تداعيات الأفكار والصور المتقاطبة المرموقة الّتي ليست بمعزل عن التعايش مع موضوعها السرديّ؛ فهي لا تبقى كعنصر ثابت بتشكيلاتها الهندسية والوجدانية بل قد يعتريها الغموض أو تعرض في وصف دقيق يقدّمه الشاعر من مغبّة التطوّرات في بيئته وتبعاً لها في نفسه؛ فتأتي دلالة المدينة إيجابيةً تارةً وتبدو سلبيةً تارةً أخرى، أو ينعكس صداها في المواقف الإنسانية المختلفة أو يلاحظ تأثيرها في تشكيل شخصية الإنسان ومجموعة القيم الّتي تهمّه. يلحّ الشاعر على أوصاف المدينة ويتجاوب معها بالرؤى البصرية والصور الذهنية، ثمّ تتوجّه نحو التأدية السردية الّتي تستقي تجاربها من الذات والبيئة الرمزية، طبعاً يعتمد على الخيال في تمثيل المشاعر المحسوسة والواقع المرئيّ والتبصّر بأحوال النفس وتقييم ملابسات المجتمع وقس عليها.

يحتفي الشاعر في سرد المدينة بأوصافها الخارجية الناجمة عن امتزاج تقاطب الحقيقة والخيال، ولكن ما لبث أن يتجاوزها غير قليل بالانتقال إلى وصفها وصفاً باطنياً؛ فجاءت المدينة في شعره وثيقة الاتّصال بالشخصية الّتي تنتسب إليها وترتفع قيمتها بوجود الذات

١. طليطلة: مدينة إسبانية فتحها المسلمون بسهولة في أواخر القرن الأوّل للهجرة بقيادة موسى بن نصير.

www.SID.ir

Archive of SID

والاستغوار في أعماق هذه الأواصر النفسية من خلال الحالة النفسية الّتي يعيشها السارد ويصطبغ بصبغتها الفريدة. تأسيساً على هذا المجمل يتمّ تقديم وظائفها ودلالاتها السرديّة المتقاطبة في التصنيفات التالية:

تقاطب الذاتية والموضوعية

ما برحت نظرة محمّد عفيفي مطر إلى المدينة تترجّح بين التعبير عن موضوعها الراهن كما هو أو ما يريد الشاعر أن يعرضها على أساس ذاتيته الخاصّة. تخصّ النظرة الأولى إلى المدينة صورةً سلبيةً ممّا يجري فيها من صراعات متنامية بين الأنا السارد والآخر المكانيّ، ويمتدّ إلى واقعها الداخليّ والخارجيّ سوياً. تبلغ التجارب المكانية الّتي تطرأ في المدينة، مبلغاً جعل الشاعر المعاصر يعبّر عن أفكاره الإبداعية الناجمة عن الوعي المكانيّ متّخذاً منها موقفاً إيجابياً حيناً وموقفاً سلبياً حيناً آخر يعكس طبيعة رؤياه الشعرية (موسى، ٢٠٠٥: ٢٦٠) وهو يدلّ على تقاطب المدينة في الشعر المعاصر.

على الرغم من أنّ المدينة تتناسق صورتها في شعر عفيفي مطر مع أشكالها المعتادة في نظرة مطلقة، ولكن تتعدّد وظائفها بجمالياتها المنبثقة عن صورة ذاتية تتراوح بين الواقع والحلم. تؤدّي المدينة عنده وظيفةً دلاليةً من موقعها في الذات وما تثيره من نفور وحنين تفرضهما رؤيا معينة؛ وذلك أنّ توظيف المدينة الغريبة لما فيها من صبغة وهندسة خاصّة وأيضاً لما فيها من مشاهد وصفية بديعة، يتمكّن من بثّ الانغلاق والضيق والاختناق خلافاً لما يبدو في ظاهرها (توام، ٢٠١٦: ٩٥). ينصرف الشاعر في غضون عنايته بالمدينة إلى مواضيع الغربة وأحلام العودة وإعادة البناء أو يرتقي إلى مستوى رمزيّ وحضور واقعيّ يقتصر على تسجيل الواقع وخرقه. تخلص هذه المواضيع في قصيدة "الشمس الّتي لا تشرق «شظايا»" إلى مستوى لم يعد الشاعر يعتبر المدينة مكاناً مناسباً لقرض الأشعار المبهجة حوله بل يجعل أرجاءها مشحونةً بالحزن والموت كما يلي:

> هَـذَا أنَـا أهْتَـزُّ فِـي بَوّابَـةِ الشِّـعْرِ المُمِيـتِ/ فإبْـدَأْ غِنـاءَ الرُّعْـبِ يـا قَلْبِـي الصَّغِيرِ/ إبْـدَأْ غِنـاءَ الرُّعْـبِ.. لا تَبْـدَأْ.. فإنَّ مَـدِينَتي السَّكرَى تَنـامُ/ أيـامِي المَقْطُوعةُ النَهْدَينِ مَا زَالَتْ تُوَلْوِلُ فِي الظَّلام/ تَسْتَرْحِمُ الجُدْرانَ، تَسْتَسْقِي الـرُؤَى،/ أوّاه يـا ضَـرْعَ الحَجَـرِ/ هَـذا أنَـا.. فِـي اللَّيـلِ مَطْـرُوحٌ (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج١/١٤٥-١٤٦)

www.SID.ir

Archive of SID

لقد أظهر هنا الشاعر تقاطب المدينة من خلال ما حلّ بها من دمار ورعب وظلام، ويتّكئ في إنارته على صور ذات حواسّ سمعية يسمعها القارئ ويحسّ بالتجاوب الذاتيّ معها. يتمّ ذلك من خلال دعوته إلى بثّ الرعب والفزع في نداء قلبه «إبدأ غناء الرعب يا قلبي الصغير» ويلحّ فيه على الانزياح الاستبداليّ مرّتين ليسلب من المدينة الفرح والسعادة، ويظهر سيطرة الرعب عليها؛ فقد انزاحت هذه العبارات عن بنائها الحقيقيّ إلى البناء الاستعاريّ؛ إذ يملك الانزياح الاستبداليّ معتمداً على عماده (الاستعارة) دوراً بلاغياً شاهقاً في إيصال المعنى المراد وتبليغه، ولاسيما حين يقصَد بثّ النفسية الحزينة القلقة (قربانزاده والآخرون، ٢٠١٧: ٩٧-٩٨)، مثل الوظيفة الاستعارية في قوله «إبْدَأْ غِناءَ الرُّعْبِ يا قَلْبِي الصَّغِير». إنّ الصورة الاستعارية في «إبْدَأْ غِناءَ الرُّعْبِ يا قَلْبِي الصَّغِير» لافتة؛ لأنّ الغناء إصدار أصوات مؤثّرة ناتجة عن الانفعالات والعواطف النفسية المختلفة الّتي يمرّ بها الشاعر، ولكن المهمّ هنا هو أنّ الغناء يصدر من اللسان ويؤثّر في القلب وليس صادراً من القلب بل يقبله ويتأثّر به. إنّ تجربة الشاعر تميط اللثام عن مدى بثّ الشعور العاطفيّ بخفقان القلب على قدر جعلته على عرضة للانزياح الاستبداليّ عبر وظيفته المعاكسة. هذا الأسلوب الاستعاريّ أقدر على تمثيل انفعالاته وأحاسيسه منه إلى الأسلوب المباشر بحيث إنّ القارئ عندما يواجه هذا الخطاب المجازيّ فيتثبّت من أنّ الشاعر يقع في مخالب وضع مأساويّ مفجع. ليس من المعتاد أن يطلب الشاعر من قلبه بوصفه موطناً للأسرار أن يبوح بها، غير أنّ الموقف النفسيّ المؤسف جعله يعمد إلى مثل هذا الأسلوب.

هنا يجعل الشاعر نداء القلب المغلق مقابل حالة المدينة المفتوحة بحيث إنّ استعمال صيغتي الأمر والنهي «إبدأ غناء الرعب» و«لا تبدأ» يدلّ على عمق العلاقة بينهما، فضلاً عن أنّ توظيف حرف النداء "يا" الدالّ على البعد الوجدانيّ للقلب لما فيه من تشخيص فاعل، يفاجئ المتلقّي ويدهشه بعد التفات الحديث عن أنا (السارد) إلى الآخر (قلبه) الّذي يبتعد به الشاعر عن لغة الخطاب الإخباريّ وينزع إلى الانزياح عبر توظيف أسلوب مشبه للحوار بين جانبين؛ أحدهما قادر على الحوار والآخر لا يتمكّن من الإجابة والحوار. استعمال مثل هذا النمط في حوار ذي جانب واحد، يشدّ القارئ إلى مضمون الحوار أكثر من العناية بمن يلقيه لينغمس في ما وراءه ممّا يرمي إليه المتكلّم لتعتيم مواقف المدينة. يعتمد خطاب الشاعر على بنية تضادّية متقاطبة دون فاصل بعيد بين إيراد فعلي «إبدأ» و«لا تبدأ» وهما يدلّان على حالة الارتباك والقلق النفسيّ عند الشاعر من جهة، وعلى تجسيد حالة تحبيذ

www.SID.ir

Archive of SID

وشوق في القارئ على متابعة النصّ وانجذابه إليه. لقد نجح الشاعر في اختيار صورة تبعث على النفور والاشمئزاز من وضع المدينة في القارئ؛ فهو لا يكتفي في تقريب مآسي المدينة وهمومها من الإدراك المتعاطف بالحاسّة البشرية بل يقوم بعتاب تشخيصيّ لمدينته هادفاً إلى إلقاء عبء المسؤولية على عاتق سكّانها في مركّب «المدينة السكرى» وما يسهم في توسيع فضائها المؤسّف كحديثه عن أيامها الجدبة الّتي تشبه لنحسها وسوء حالها مرأةً مقطوعة نهدين وتقبل سمات إنسانيةً قريبة من معرفة الجماهير.

لا يستسلم الشاعر لنفوره الذاتيّ الغامض من المدينة بل يحاول حيناً أن يرد في جدلية تنقله إلى حالة من قبول المدينة كما هي أو يبحث عن بدائل لواقعها المهترئ؛ فتظهر تجربته كما ذاقها أنداده المعاصرين في أنماط رمزية تشكّل من مستقبل المدينة يوتوبيا[1] صناعيةً أو مدينة حلم ذات مياسم الخصب والنماء المطلق (أبو غالي، ١٩٩٥: ٣٠٩). يلجأ الشاعر في تحقيق نظرة متفائلة للمدينة إلى أحلام اليقظة وعالم حبّ جديد يراه خارج المكان الحالي بحيث إنّ القارئ مدعوّ ليحلم ويفترض ما لا يمكن رسمه في أرض الواقع. قد تقع المدينة إطلاقاً في بؤرة صورة مطر الشعرية بحيث يصبح تحريرها هو المبتغى الّذي تنتشر ظلاله في عناصر هذه الصورة؛ فيعرض الشاعر المدينة المدمّرة مشحونة بالتفاؤل والتأكّد من إقبال المستقبل ويجهد أن يقدّم صورتها الفاضلة في مسحتها الرومنسية، كما يحقّق هذا التفاؤل في قصيدة "كتاب المنفى والمدينة" قائلاً:

أدْخُلُ فِي مَمْلَكَةِ الأحْلَام/ أُصْبِحُ طِينةً مَعْجُونةً مِنْ كُلِّ/ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ هَيولَي/ أصْبح راعِياً أسُوقُ فِي الرِّياح / نَاقةَ الغَمَام/ أُغَنّي: تَوافُقات/ الرَّمْلِ وَالأَمْطار/ أبْنِيكِ يا مَدائني/ مِنْ شَاطِئ لِشَاطِئ (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج٢/٧٥)

لقد ابتدأ تقاطب المدينة بحلم يبينه الشاعر مباشراً على المستوى الفرديّ ثمّ تقترب فيها الذاتية شيئاً فشيئاً من سعة الأرض وحدودها كالشاطئ ليتمّ التعاطف معها على المستوى القوميّ. يتجاوز مدى استخدام المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر بحيث يغيب عنده وجه المدينة خاصّة لتجد أبعاداً اجتماعية شاملة تتجسّد في المدائن. ما لبث أن يفيق الشاعر في نهاية السطر ويستبشر بالحياة والأمل في المدينة ويعبّر عن إعادة بنائها من شاطئ لشاطئ. من جانب آخر، هنا يبادر الشاعر ترييف المدينة بعناصر الطبيعة هنا تفقد المدينة أبعادها الهندسية وتستلم

1. Utopia.

www.SID.ir

Archive of SID

معالم طقس ريفيّ مفعم بعناصر البيئة وقيمها البسيطة كالرعي والريح والناقة والغمام والرمل والأمطار الّتي تهمّ المرء الريفيّ أو البدويّ دون أن يشاهد فيها شيء من الحضرية.

يكون الشاعر في سياق الحلم مشاركاً في الفعل؛ فلا يعامل المدينة بشكل موضوعيّ بل بكلّ ما لديه من طاقات وهم وخيال، يجذب القارئ إلى أمل مصطبغ بالحماية ليخلع على المدينة ملامح الاطمئنان والألفة؛ لأنّ «التعامل مع مثل هذه البنية المكانية، يأخذ في الاعتبار كونها علامات ذات أبعاد تؤسّس للمكان كمتخيل والمتخيل هنا لا ينفصل بالضرورة عن الواقع، لأنّ الواقع مرجعه، أي أنّ المكان المتخيل عند اعتباره علامةً سيميائيةً يصبح علامةً أيقونيةً عندما يتحوّل إلى صورة ذهنية أو فكرة، مرجعه الواقع» (مجناح، ٢٠٠٨: ١٦٤-١٦٥). هنا يواجه الشاعر المدينة بألفة ومؤانسة بحيث يكون في سياق هذا الحلم بطلاً ملحمياً مشاركاً يسرد الأحداث ويحلّلها من الداخل. يقع هذا الميسم لدى الشاعر بين ثلاثة أنواع من الرواة الّذين يميزهم تودوروف، في نوع الراوي الّذي يعلم أكثر من الشخصية (الرؤية من الخلف) يعني أنّ السارد بطل يسرد قصّته عادةً، غير أنّه ـ كما يتبين في النموذج الأعلى ـ لا يكون البطل تماماً بل السارد يتحدّث في الزمن الحاضر عن بطل يبدو أنّه هو السارد بنفسه (عزّام، ٢٠٠٥: ٩١). هنا الشاعر هو السارد البطل الّذي يواجه الهيولى أو يلتحم بها ثمّ يسوق عناصر البيئة ويطالب بالتغيير بحيث يدوّي ضمير المتكلّم فيها حالةً فرديةً ترغب في التطوّر والتغيير بتحطيم صورة المدينة الواقعية واللجوء إلى عالم الحلم والتخيل.

تقاطب الصمود والتواني

قد يعمد الشاعر في تعبيره عن دلالات المدينة وصورها إلى ميسم الضعف والتواني فيها، ثمّ إلى ميسم الصمود والمقاومة، يعني العثور على حلول مؤاتية للخروج من هذا الضعف. إنّ هذا التقاطب في شعر عفيفي مطر يشبه ما يجري في الخطاب السرديّ المعاصر ويدلّ على أنّ السارد ينزع في تصوير المدينة إلى موقفين مختلفين: أحدهما يمثّل المدينة في خصوصيتها وانتمائها الوجوديّ الراهن، والآخر يحاول تغيير المدينة مواكباً لحركات التفاعل الاجتماعيّ وتجدّد مقتضيات الحياة (درويش، ٢٠١٧: ٢٩٠)، أو بعبارة أوجز تقاطب الفضاء الرتيب والمتطوّر فيها.

تُعرف المدينة عند الشاعر بطابعها السلبيّ القاتم وتتجلّى معالمها في شكواه لما ضمّها من أحداث تجعله في وطأة الحالة النفسية. إنّ المدينة في الشعر العربيّ المعاصر، لها أن ترتبط بانشطار الذات والمجتمع المنهار؛ لأنّ «الذات منشطرة ومنجذلة بين عالمين، عالم يتراجع

www.SID.ir

Archive of SID

ويتقهقر باستمرار وهو الواقع العربيّ الراهن، وعالم يتقدّم آتياً من المستقبل ولكنّه غامض، غير واضحة معالم» (عقاق، ٢٠٠١: ٢١٩). فهي في معظم ما يعرضها الشاعر، من اللون الأوّل بحيث لا يشاهد منها سوى صور منهزمة تنقل إلى متلقّيها الشعور باضطراب وعزلة. تتمثّل صورة الشاعر في بلورة مشاهد المدينة واعتماده البالغ على أسلوب التشخيص واستعارة مفردات حافلة بدلالات الفتور والتقصير، كما تأتي في قصيدة "كتاب السجن والمواريث":

أصْرُخُ فِي المَدِينَةِ المَلْعُونَةِ/ لَعَلَّهَا تُخْرِجُ رَأْسَهَا مِنْ مِعْطَفِ التَرَقُّبِ المَهْزُوم/ لَعَلّهَا تَقُومُ/ وَتَشْرَئِبُّ كَيْ تَأْكُلَنِي/ حَتَّى يجيئهَا سَيفٌ مُغامِرٌ بِضَرْبَة فِي الرَّقْبَةِ/ يطِيحُ بِالرَّأْسِ/ أراكِ يا مَدِينَتي أُضْحِيةً تَنْتَظِرُ السِّكِّينَ.. (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج٢/٣٢٤)

لقد أصبحت المدينة في المقبوس الأعلى مكاناً مهزوماً تغلب السمات الإنسانيّة على مظهرها؛ فباتت نموذج ترقّب وفشل، ولا تأبه بأفظع الجرائم الّتي تمسّ بوجهها. هنا يحاول الشاعر من جانب أن يجسّد ردّةَ فعله تجاه المدينة، وينير من جانب آخر تغافل المدينة عن مبادرات عنيفة تلحق بها، فيصرخ الشاعر منذ البداية في المدينة ليثيرها ويحثّها على الحركة ولو أسفرت هذه الحركة عن إبادة الشاعر (لعلّها تقوم وتشرئبّ كي تأكلني). على الرغم من أنّ الشاعر يري المدينة في مستهلّ النصّ متّصفة بالأوصاف السلبية الّتي مُنيت بها كقوله « أصرخ في المدينة الملعونة/ لعلّها تُخرج رأسها من معطف الترقّب المهزوم»، غير أنّ هذه الأوصاف لا تقلّل شيئاً من مدى تعلّقه بها؛ فيضيف إليها ضمير "الياء" (مدينتي) ويعتبرها أضحية لينصّ على صلة حميمة بينه وبينها. هذا الوصف المكانيّ الّذي يتراوح بين الإعراب عن القبح والتعلّق العاطفيّ بالمدينة اتّجاه سرديّ يسمّى بالقبح الجماليّ[١] أو الجماليات السالبة.

قد يتغير موقف الشاعر عن المدينة ويصير إلى رفض الذلّة والهوان تجاه أحداث هادمة تُفرض عليها. تصبح المدينة هذه المرّة مدجّجةً بالسلاح على الصمود والمقاومة، ولا غرو أن تتغير نظرة الشاعر إلى المدينة من صميمها؛ لأنّ المدينة في الشعر العربيّ المعاصر، مهما كانت فلسطينيةً أو لبنانيةً، قد تصطبغ صورته بصبغة الثورة والصمود ويكون المهمّ فيها هو البعد المقاوميّ المشترك عندها (روشنفكر وپورحشمتي، ١٤٣٩: ٤). إنّ الصمود أمام السلطة يستلزم ردّة فعل مباشرة عند الوقوع في الأحداث؛ لذلك يوثر الشاعر هذه المرّة أن يترك

١. القبح الجمالي أو الجماليات السالبة في السرد يعني أنّ السارد يكره المدينة ويعرض قبحها، لكنّه بهذا الكره يقصد فضاء آخر للمدينة وهو رسم صورة محبّبة منها (عبيدي، ٢٠١١: ١٠٢).

www.SID.ir

Archive of SID

توافر الحلم وينزل إلى حلبة الصراع الخارجيّ العنيف مع المدينة، فيناديها ويزيل الستار عن مؤدّاه السافر عنها، أي يميل إلى التعامل المباشر مع المدينة في لحظات الأزمة والقلق، كما يتحقّق ذلك في قصيدة "كتاب المنفى والمدينة" حين يقول الشاعر:

آه يا مَدِينَتي البَعِيدَةَ/ أنَا أُشِيرُ بِالسَّيفِ إلَيكِ../ فَاصْمُدِي وَانْتَظِرِي/ الفَتْحُ قَادِمٌ
إلَيكِ فِي خميسة[1].. / فَتَوِّجِي رِجَالَهَ بِالمَطَرِ.. (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج٢/٧٠)

بما أنّ وظيفة السرد وهدفه «إزالة غموض الانحرافات، لا يحلّ السرد مشكلةً. إنّه يضعها ببساطة بطريقة تجعلها مفهومةً» (بروكمبير وكربو، ٢٠١٥: ٥٧)؛ فينوي السارد في هذا المقطع أن يعرض صراع المدينة ببساطة ويجد لها الحلّ المناسب دون أن ينفرد في هذا الميدان ويعتمد على فعله. هنا تعود مركزية بناء السرد إلى المدينة وتصدر منها كلّ المفردات والحمولات الفكرية، أهمّها هو مكانيزم الصمود الّذي يمكن إدراكه من الواقعية الفعلية ولا من المثالية الحالمة. يظهر الشاعر المدينة في بؤرة المقاومة القومية بحيث يمتدّ صمودها في جميع ثنايا النصّ ويحضر في كلّ ما يتعلّق به من "سيف"، و"فتح"، ومنطقة اسمها "خميسة"، و"رجال"، و"مطر"، ليحقّق أسلوب السرد التحفيزيّ ولاسيما حين يستدعي تراثه العربيّ بالجملة الخبرية المشحونة بالاعتزاز والبطولة، أي جاءت هنا منطقة "خميسة" الأثرية لتصبح وجهاً تليداً لتأريخ الموطن المصريّ المشرق وحضارته. يعتمد الشاعر على استخدام الفعل المضارع المتكلّم لوحده (أشير) وذلك يصوّر حالة السارد النفسية الّتي تفرضه أن يحرّك ساكناً للمدينة ثمّ يميل توّاً إلى خطاب المدينة بأفعال الأمر (اصمدي وانتظري) وهما يزيدان من لهيب نيران الصمود والمقاومة.

فضلاً عن ذلك يلتجئ السارد إلى توظيف الرمز الشفّاف في هذا المقطع؛ فاستخدم "السيف" بوصفه آلةً حربيةً للملاحم القديمة وهو الآن ينطبق على الموقف الملحميّ ويرمز إلى القدرة والشجاعة لدى السارد في ساحة المعركة وجهاً لوجه دون أن يعتريه الخوف. الرمز الآخر هو المطر الّذي يستعيره الشاعر من الطبيعة الموحية ويدخله على وفق رغبته في حيز المقاومة ليظهر حصيلة المقاومة برمزيته المرهفة. إنّ المطر في سرد المدينة يجلب لها الخير ويبسط «نسقاً تفصيلياً لسرد البشر الّذين قوّضوا مدنية المدينة لمجرّد وجودهم فيها» (صالح، ٢٠١٤: ٣٠٨). هنا تتناسق رمزية المطر للمدينة مع مشاعر السارد الرقيقة وخصائص المدينة الحالية الّتي تحتاج إلى بوارق الأمل والانبعاث في نهاية الفقرة.

---

١. خميسة هي منطقة مصرية «تضمّ مجموعةً من المقابر ترجع إلى العصر اليونانيّ» (عبد الله، ٢٠٠٢: ١٠٨).

www.SID.ir

Archive of SID

تقاطب الجوع والرخاء

لقد نشأت المدينة تلبيةً لحاجات النّاس على تسهيل العيش؛ فيفدون إليها قاطبةً من الأرياف المختلفة على تحسين أحوالهم، أمّا المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر في مجمل قياس يجري بينها وبين القرية فما زالت تبدو مهزومةً، في الواقع «عند الصراع بين الشعراء حول المدينة والقرية كانت القرية من أجل جودة معيشتها وبساطتها الطبيعية عنصراً غالباً وتبدو الإمكانيات الرفاهية والأجهزة الحديثة الّتي تخدم الإنسان الراهن، في نظرة الشاعر ذات درجة سلبية» (قرباني وعبّاسي، ١٣٨٦: ٣١٤). إنّ المدينة في أكثر وحدات محمّد عفيفي مطر الشعرية خلافاً لتوظيفها الحقيقيّ، تميل إلى إشارات الفقر والإفلاس، وإن لا تشغر تماماً من معالم ثراء وترف وراحة بُنيت من أجلها.

يبدو أنّ رخاء المدينة بكلّ ما فيها، لم يقدر على إعجاب الشاعر وإرضائه بل قد تخرق العلاقات الاجتماعية والقيم الّتي ترعرع بها الشاعر كما أصبحت في قصيدة "وشم النهر على خرائط الجسد «الوشم الرابع»" بكلّ سعة العيش وحسن حالها مؤبوءةً:

هَذِي المَدِينَةُ مَوبُوءةٌ.. يتَرَجَّلُ[١] وَحْشٌ جَمِيلُ/ التَقَاطِيعِ[٢] مَا بَينَ هَمْهَمَةِ[٣] الفُقَهاءِ وَدَفءِ الفراشِ/ المُبَلّلِ بِالنَّومِ وَالمَوتِ، مَا بَينَ وَشْوَشَةِ[٤] القَصرِ بِالمُخْمَلِ[٥]/ المُسْتَرِيبِ[٦] وَعَرَّافةِ[٧] الشَّهْوَةِ الجَسَدِيةِ وَالانْتِحارِ البَطِيءِ./ أنَا مَلِكٌ، وَالمدينةُ تَحْتِي تَلُفُّ عَصَائِبَهَا[٨]، بَينَ تاجِي/ وَعَرْشِي، تَسَاقَطُ الشَّمْسُ دَامِيةً، يخْلُقُ اللَّيلُ/ تَحْتَ هَشَاشَتِهِ[٩] حَيوانَ الوَسَامةِ[١٠] وَالرُّعْبِ (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج١٢٦/٣)

هنا يرسم الشاعر صورةً تفسيريةً من موقفه الحالي في عالم ماديّ يتجسّد في المدينة

---

١. تَرَجَّلَ مُنْتَصَفَ الطَّرِيقِ: مَشَى عَلَى رِجْلَيْهِ. تَرَجَّلَ الفَارِسُ: نَزَلَ عَنْ حِصَانِهِ وَمَشَى. تَرَجَّلَتِ الْمَرْأَةُ: صَارَتْ كَالرَّجُلِ.

٢. التقاطيع: جمع التقطيع: القامة والهيئة.

٣. همهمة، وهو التكلّم بكلام خفي غير مسموع.

٤. الوشوشة: صوت الإنسان المختلط.

٥. المخمل: ثَوْبٌ مِنْ نَسِيجٍ لَهُ خَمْلٌ (الصوف).

٦. اسْتَرَاب به: رأى منه ما يريبه.

٧. العرَّافة: مُنجِّمة، مَن تدَّعي القدرة على كشف المستقبل، متنبِّئة، متكهِّنة.

٨. العصائب جمع العصابة: مجموعة منظَّمة من المجرمين.

٩. هَشَاشَةُ شَيْءٍ: رَخَاوَتُهُ.

١٠. الوَسامةُ: أثرُ الحسن والجمال والعِتْق.

www.SID.ir

Archive of SID

ومعالمها؛ فيصوّر فضاء رحباً من المدينة الّتي تمتلئ بمظاهر الثروة والترف كما يكشف عن مشاهد انهيارها. هنا عندما تكتضّ المدينة بغاية الإمكانيات الرفاهية ك «دفء الفراش، النوم، القصر، التاج والعرش» تأخذ رمزاً سلبياً ينظر إليها الشاعر بعين مريبة؛ لأنّها تؤدّي إلى تصدّع العلاقات الاجتماعية وانتهاك القيم، وتنعى بالموت وظهور مثالب واسعة كاشتعال الشهوات الجسدية والانتحار البطيء، في الواقع ترسم المدينة في الشعر السرديّ بكلّ رخائها ورغدها على أهبة كاملة لبروز الفسق والفجور؛ فإنّ المدينة في هذه الظروف «مرتعٌ للقيم الضائعة، وَسَطٌ مشحون بالفسق واللهو والعبث والتهتّك الأخلاقيّ، المدينة مرتع للاغتراب، والمعاناة المؤلمة، لمجتمع تفكّكت فيه كلّ القيم والمعايير الاجتماعية، المدينة مكان غارق مع سكّانها في وحل قاذوراتها» (عبيدي، ٢٠١١: ٩٧). مع ذلك يريد الشاعر في نهاية المقطع بين قاذورات ترف المدينة أن يشيد لنفسه يوتوبيا المكان؛ فيبين مدى تعلّقه بالمدينة معتبراً نفسه ملكاً يحكمها لتغدو المدينة منقادة لحياته المعقودة بعناصر الطبيعة البكرة. هنا يهرب الشاعر من ضوء الشمس ويلوذ بالليلة، وهذا الهرب من الشمس والملاذ بالليلة للفرار من الواقع، بوصفه «سمة عند عدد كبير من الشعراء الرومنسيين وهم يتوسّلون بالليلة هرباً من الواقع الّذي يحصل على بياض النهار» (حيدري، ١٣٩٢: ٨٠). تعرّضت المدينة للتقاطب بين ضوء الشمس وظلمة الليلة بحيث إنّ تساقط الشمس الدامية في المدينة يساوي اضمحلال بصمات الأمل والقيم الهامّة فيها، والليلة بما تبثّه من علامات الحسن والرعب المتناقضة تثير هبوط المدينة في موقف اليأس والخيبة.

مع أنّ المدينة في أرض الواقع ثرية رغيدة، لكنّها قد تجلو في شعر محمّد عفيفي مطر على العكس، بحيث يضيعها الإنسان ويبالغ في إقفارها؛ فهي كما تضمّ الإفراط في الثراء، يمكن أن تضمّ الإفراط في الفقر أيضاً (مقبول، ٢٠١٦: ٥٨و٥٧). قد يدوّي تقاطب المدينة لدى الشاعر ميزة التقابل بين جوع ينبع من انهيار المدينة، وثراء ينتشر فيها من كلّ صوب وحدب؛ فيصطبغ هذا الجوع في المدينة بالصبغة الاجتماعية وليست ذاتيةً وهو بدلاً أن يتجسّد في من يعانون من ضيق العيش والفاقة، يتبلور في مظاهر المدينة كما مرّ بنا هذا النهج حيال القرية. يتابع السارد في التناول السرديّ للجوع نهج أنداده المعاصرين الّذين يتناولون «المدينة في امتداداتها الطبيعية إلى الريف أو امتدادات أبناء الأرياف إليها وصلاتهم بها» (صالح، ٢٠١٤: ٤٦). يهدف الشاعر أيضاً إلى العناصر الجامدة الّتي تبني محيا المدينة ومشهدها كما يطبّق هذا النهج في قصيدة "صوت الخيبة" من أجل جوع يستوعب جميع زوايا المدينة الخارجية:

www.SID.ir

Archive of SID

الجُوعُ فِي المَدِينَةِ/ يصْفَرُّ فِي انْسِكابَةِ الجَدائل[١]/ يخْضَرُّ فِي المَزابِل/ يسْوَدُّ فِي حَدائِقِ الأسْفَلْتِ وَالسُّكُوتِ/ يبْيضُّ فِي القَصائِدِ المُخَنَّثَةِ[٢]/ يطِيرُ فِي شَوارِعِ الزُّجَاجِ وَالأحْجَارِ/ مُلَوَّناً فِي الصُّحُفِ الفَقِيرَةِ/ مُعَطَّراً بِما يفُوحُ مِنْ جَوارِبِ الأمْواتِ فِي الظَهِيرَةِ.. (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج٢/٢١-٢٢)

هنا يعتمد الشاعر على وصف المدينة وتوسعة مدلولها بحيث يقوم الوصف بتصوير صراع اجتماعيّ يساعد السرد ويشترك معه في تصوير الحدث وإدراك الواقع الاجتماعيّ المؤلم. يعكف الشاعر لتصوير الجوع في المدينة على تراسل الحواسّ[٣] أو الاشتباك الحواسيّ، فتبتدأ خطوته بمزج حاسّة التذوّق (الجوع) بحاسّة البصر الّتي ما زالت تتغير بواسطة الألوان تبعاً للسياق والانفعال النفسيّ، في الواقع «تظهر الألوان موضوعاً لبعض النصوص اللفظية؛ حيث تتفاعل هذه التشكيلة المرئية بالنظام اللفظيّ؛ وتتمفصل من خلالها بين مستوى التعبير في شقّيه الخطابيّ والسرديّ ومستوى المضمون الّذي يجعله منتجاً لقيم دلالية معينة» (بن مسعود، ٢٠١٥: ١٦). لقد ظهرت في النموذج الأعلى كثرة الإشارات إلى الجانب البصريّ للوصف، كأنّ الشاعر في بنائه يمسك بالفرشاة ليرسم لوحةً من المدينة ويضع المتلقّي أمام مشهد تكتمل ألوانه لينشغل بالتأمّل والتفاعل. يتلوّن الجوع في المدينة بألوان مختلفة بحيث إنّ كلّ لون يكتمل ويعرف من الآخر بدلالة منحصرة تقدّم وصف الجوع نحو الأمام كما سيأتي تصنيف علاماته الّتي قد تبلغ مبلغ الانزياح فيما يلي:

اللون الأصفر يدلّ على الحزن والذبول ← غير أنّ اصفرار الجوع في انسكابة الجدائل يظهر كانطلاق بروز الاصفرار وسفوره في الشعر.

اللون الأخضر يدلّ على الأمل ونضارة الحياة ← غير أنّ اخضرار الجوع في المزابل يعني اشتداده من المنظور السلبيّ المعاكس لوظيفته الموجبة، أي بلي وتعفّن في مزابل المدينة.

اللون الأسود يدلّ على نهاية الحياة الّتي ترافق الخيبة والهزيمة والجوع ← غير أنّ اسوداد الجوع في حدائق الأسفلت والسكوت يرمز إلى بلوغه قمّة التدهور والحرج بحيث أصبح الجوع كالأسفلت الملتصق بالأرض يستحيل سدّه ورفعه.

---

١. الجدائل جمع الجَديلة: ضفيرة من الشَّعر.

٢. المخنّثة: الواهنة.

3. Synesthesia.

www.SID.ir

Archive of SID

اللون الأبيض من أكثر الألوان سطوعاً ووضوحاً؛ فهو يدلّ على السكينة والسرور ← غير أنّ ابيضاض الجوع في القصائد المخنّثة يتحوّل إلى لون ضبابيّ معتّم يخلو من النشاط والدينامكية المتوقّعة.

تأتي الرؤية البصرية في هذه الفقرة متلاحمةً مع الحواسّ الأخرى لتشكيل صورة الجوع في المدينة، بحيث كأنّ هذا الميسم التذوّقي والبصريّ غير واف لإكمال الوصف؛ فينزع الشاعر إلى مزج الجوع بحاسّة الشمّ لتحقيق التراسل بين التذوّق والشمّ، وذلك يجعل القارئ في الممارسة الذهنية واحدةً تلو الأخري؛ لأنّ الشاعر المعاصر يصرّ بتقنية تراسل الحواس المكرّر على خرق العرف والعدول الأدبيّ[١] ليوقف المتلقّي عند ممارسة ذهنية تزيل الستار عمّا ينويه معقّداً (نجفي إيوكي، ١٤٣٧: ٥٩-٦٠). يستخدم الشاعر الجوع معطّراً بما يفوح من جوارب الموتى ليزيد من انتشار الفقر والجوع في المدينة بجانب تعبيره عمّا تفسد وجهها الجميل من المزابل والأسفلت وشوارع الزجاج والصحف الّتي تعتبر من ثمرات الحداثة ولا يقبلها الشاعر.

تقاطب الكرونوطوبية

قد يرد الشاعر في تداخلات سردية ترتبط من خلالها المدينة بالزمن لتحقيق الدلالة الكرونوطوبية[٢] السردية، أي تتداخل عبر النصّ مفاهيم الزمن والمدينة بحيث كأنمّا يحيل أحدهما على الآخر، كما يعتقد إحسان عبّاس بنهاية هذا الترابط في خلق المدن المغيبة قائلاً «لا نحسّ بتضايق الشاعر من الواقع المدينة الواقعية وحسب، وإنّما نجد اصطدامه بمشكلة الزمن مسيطراً أيضاً عليه، فمن بعض الوجهات يتّحد الموقفان أعني الثورة على المدينة والثورة على الزمن بحيث يتعذّر فصلهما» (عبّاس، ١٩٧٨: ٩٤)؛ إذ يقوم بينهما ترابط عميق يمكن أن يتمثّل في صراع أو فكرة يرمي إليها السارد بطرق مختلفة.

إنّ الزمنية الّتي يحدثها الشاعر حيال المدينة، تبدي دلالات متناقضة مع تشكيلاتها المعتادة لإنتاج زمن جديد مختلف. يرتبط زمن المدينة بالمواضيع الّتي تقتضيها سردية شعره بحيث يمكن أن تتداخل فيها عناصر الزمن مثلما تتداخل عناصر الأمكنة معاً؛ فيستخدم

---

١. العدول الأدبيّ: يعني السعي إلى المتغير ولا إلى المألوف.

٢. الكرونوطوبية تعادل (Chronotope)، أو مفهوم الزمكانية (الزمان والمكان) في اللغة العربية وهي تعني «طبيعة المقولات الزمنية والفضائية المعروضة والعلاقة بينها ويحدّد المصطلح ويؤكد على الاعتماد التامّ المتبادل بين الفضاء والزمن في أشكال التصوير (الفنّي): ويعني حرفياً "الزمان- المكان"» (برنس، ٢٠٠٣: ٣٢).

www.SID.ir

Archive of SID

الشاعر مفردات زمنية عديدة في إظهار تقاطب المدينة، منها "الليلة" والصباح، وهما زمن كونيّ يحمل إيقاع الزمن في الطبيعة ولهما خصائص مطوّرة طوال تكرارهما واستمرارهما (قاسم، ٢٠٠٤: ٧٤) كما يظهران بوضوح في مدينة الشاعر. إنّ الانتقال الزمنيّ وتحويل وظيفة الزمن بين الليلة والصباح من السمات البارزة للمدينة في شعر عفيفي مطر بحيث إنّ المدينة قد توحي بزمن صريح تتبدّل وظائفه ويأخذ ميسم التعاكس الدلاليّ. من مصدر هذا التعاكس بين الليلة والصباح في المدينة، عندما يصبح ليل المدينة بشوارعها وظلام أزقّتها في قصيدة "بوّابة طليطلة" زمن أحلام يدخل الشاعر في أجوائها ليبحث عن ألفة وحلم منشود:

لَبِسْتُ قِناعَ التَنَكُّرِ[١] عَلَيَّ أسُوحُ[٢] بِلَيلِ المَدِينة/ وَأدْخُلُ ـ عَبْرَ شَوارِعِهَا وَظَلامِ أزِقَّتِها ـ/ فَأُخَوِّضُ[٣] فِي جَوِّ أحْلامِها وَرُؤاها الدَّفِينَة/ (وَعَلَّ رِجالَ الدَّرَك/ يقُولُونَ فِي الصُّبْحِ: كانَ هُنا/ وَتَفَقَّدَنا واحِداً واحِداً، وَتَفَقَّدَ صَمْتَ الرَّعِية،/ أحْزانَها وَمَخاوِفَها، وَتَفَقَّدَ[٤] قُفْلَ السَّكِينَة/ وَأبْوابَها الخَشَبِية) (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج٢/٢٣٢)

هنا يتداخل زمن الليلة مع المدينة بحيث يلتقي الزمن والمدينة ببعضهما في موقف من التقاطب؛ لأنّ الشاعر قد اختار زمن الليلة للجولة والرحيل، وهي ليست زمناً مناسباً للخروج إلّا في مواقف حرج وهرب، لكنّ الشاعر يعامل زمن الليلة معاملةً وجدانيةً ويريد أن ينتشل منها الأحلام والرؤى الدفينة، في الواقع يصوّر السارد «القيمة الوجدانية لليل وأثره على الروح والشعور؛ إذ يحقّق لوناً من الحركة النفسية المتجدّدة المفعمة بالانطلاق والتحرّر» (عبده، ٢٠١٣: ١٥). إنّ زمن الليلة الّذي يفصح عنه الشاعر في هذه الحالة، زمن صيرورة وتحوّل؛ لأنّ الشاعر في مفتتح القصيدة يحدّد الزمن (الليلة) ثمّ ينصرف عنه إلى الحديث عن الصباح، ولكن ما زالت المدينة هي المكان الثابت، طبعاً ليس تلازم المكان الثابت والزمن المتطوّر بمعزل عن دلالة موضوعية واحدة وهي الإشارة إلى تشرّد السارد في الشوارع والأزقّة، كما يشاهد في الشعر السرديّ المعاصر أنّ المدينة «تعبّر عن تضايق الشاعر في اتّجاهين: اتّجاه المكان / المدينة الواقعية الّتي يعانيها الشاعر واتّجاه الزمن الّذي يسيطر على الشاعر ويضيق عليه الخناق» (أبو غالي، ١٩٩٥: ٢٨٤) وهكذا يتلازم الزمن والمدينة لتكتمل الكرونوطوبية السردية الّتي تنبثق عن التجربة الذاتية للسارد.

---

١. تنكر: غير حاله حتّى لا يعرَف.

٢. ساح يسيح في البلاد: يجول فيها للسياحة والتنزّه.

٣. خوَّض الماءَ / خوَّض في الماء: خاضه، اجتازه، دخله ومشى فيه.

٤. طَلَبَ مِنْهُ تَفَقُّدَ أحْوَالِ السُّكَّانِ: أيْ مُلاحَظَتَهَا وَمُرَاقَبَتَهَا عَنْ قُرْب.

www.SID.ir

Archive of SID

بما أنّ المكان يضمن التماسك البنيويّ للنصّ السرديّ بحيث يمكن عن طريقه إدراك الزمن أو إدراك العلاقة الجدلية بينهما (حسين، ٢٠٠٠: ٥)، تجلو هذه العلاقة الجدلية في المدينة والشخصية ثمّ تكتمل حين يتمّ التقابل بين المدينة والزمن وتبعاً لهما بين الشخصية والزمن. قد يقع عند هذا الصراع الزمكانيّ نوع من الجدال بين الزمن والشخصية، بحيث يسعى الشاعر أن ينيره بالعرض المباشر والخطاب السافر:

بَيني وَبَينَك أيهَا الصُّبْحُ/ ستٌّ مِنَ المُدُنِ العَتيقَة/ بَيني وَبَينَك مِنْ شَوارِعِهَا الوُجُوهُ الصُّفْرُ وَاللُّغَةُ العَتيقَة/ بَيني وَبَينَك أيهَا الصُّبْحُ/ غَيمٌ تَبَرْعَمَ[١] فيهِ السُّوسُ[٢] وَالمِلْحُ/ أَرْضٌ تَفَتَّقَ[٣] وَجْهُهَا المَشْقُوق/ عَنْ وَرْدَة أَلْوانُها جُرْحُ (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج٢/٤٤٠)

هنا يبادر الشاعر إعادة إنتاج المنفى ويصوّر مدى ابتعاده عن الوطن من خلال ما يقدّمه من إشارات خفية تُعرف بالعلاقات بين عناصر السرد كالزمن والمكان والشخصية؛ فهنا يرتبط الزمان بالمدن ولا يمكن فصله عنها. تتكوّن العلاقة الكرونوطوبية بينهما بإضافة الإنسان (السارد) لتحقيق الثالوث السرديّ (الإنسان والمكان والزمن) في تجسيد التنائي والبعد. يأتي عنصر الزمن "الصباح" مسيطراً على الصورة منذ بداية النصّ لسرد مدّة الغياب والنفي، لكنّ صورة المكان تتجلّى في السارد وتتنوّع امتداداته (المدن الستّ، الشوارع، الأرض) في الزمن الثابت. هذه الميزة تدلّ على تقاطب ثبات الزمن وتنوّع المكان؛ لأنّه «يمكن رصد الكثير من تجلّيات العلاقة بين الزمن والتجربة على أساس علاقة الثابت الزمنيّ بمتحوّل التجربة» (خلف، ٢٠١٥: ١٥٩)، فعندما يقوم السارد بنداء الصبح، لا يطلب تغييره بل يريد تأكيد الحدث ليرشد مخاطبه إلى أبعاد العقم والإحباط في الزمن.

يمتدّ التقاطب في هذه الفقرة إلى تحديد كيفية تعامل السارد مع الزمن بحيث إنّ هذا التعامل مع الليلة كان في متناول اليد ولاسيما عندما يحاول السارد أن يستعيد بها أحلامه المنسية، لكنّ الصبح الّذي يجب أن يمثّل للإنسان انطلاق تحقيق آماله وأحلامه وتطلّعاته، يصبح بعيد منال عبر حواجز مكانية (ستّ من المدن العتيقة) فصلت بينه وبين الشخصية.

---

١. تبرعمَت الشَّجرةُ برعمت، أخرجت براعِمَها وأزهارَها.

٢. السُّوسُ: دودٌ يَنْخَرُ أَنْواعَ القطنيات مِنْ فول وَحِمَّص وَعَدَس وَالصُّوفَ وَالثِّيابَ والخَشَبَ ويطلق عليه في الفارسية "بيد وشپشك". نبات السوس نبات شجري معمر ينبت في كثير من بقاع العالم مثل سوريا ومصر وآسيا الصغرى وأواسط آسيا وأوروبا.

٣. تَفَتَّقَ الثَّوْبُ: تَشَقَّقَ. تفتَّقَ ذهنُه عن شيء: ابتكره، ابتدعه.

www.SID.ir

Archive of SID

لقد قصد الشاعر اجتماع المدن ولا مدينة واحدة لينقل إلى القارئ خيبة أمل كاملة من رؤية طلوع الصبح. هذا وقد اختار الشاعر حواراً أحادي جانب مع الصباح بوصفه مبادرة سايكولوجية تتدارك الانقطاع الفيزيائيّ عن المدينة بحثاً عن علاقات السارد (الأنا) بالواقع والزمن والمكان سوياً؛ فالخطاب وإن يبتدأ بنداء الزمن، غير أنّه ينصرف عنه إلى وصف المدن وفي النهاية يتّسع مداه ويشمل الأرض بأكملها؛ لأنّ الأرض هي الأكثر إثارةً لجوهر التأثّر والانفعال الشعريّ.

النتائج

١. لقد جاءت المدينة في شعر محمّد عفيفي مطر على أسلوب التقاطبات المكانيّة لإضفاء الجمالية على نصّه السرديّ والمزيد من تعامل القارئ مع وظائف المدينة، ومن أبرزها تقاطب الذاتية والموضوعية، وتقاطب الصمود والهوان، وتقاطب الجوع والرخاء، وتقاطب الكرونوطوبية.

٢. ينظر الشاعر إلى المدينة من خلال تقاطب الموضوعية والذاتية، بحيث إنّ النظرة الأولى الغالبة تخصّ موقف واقعها المأساويّ وهي تسبق النظرة الثانية وتنتشر في معظم أوصافها.

٣. يقوم الشاعر في تزويد المدينة بتقاطب الذاتية والموضوعية بإشهار سيطرة الرعب والظلام البدائية على بنيتها وربّما يغير خطابه إلى الأسلوب المباشر كاستخدام الخطاب التشخيصيّ وتوظيف صيغة الأمر والنهي في حالات الترجّح بين موقفي الدعوة إلى السواد ورفضه لينزع من المدينة بوارق الأمل من جانب ويعبّر عن رغبته النفسية في ردمها وإصلاحها من جانب آخر.

٤. خلافاً لموقف التشاؤم من واقع المدينة قد يقبل الشاعر على تجسيد النظرة المتفائلة إليها؛ فبما أنّ الواقع لا يترك له مجالاً لتحويل وضعها المأساويّ، يصبح بطلاً مشاركاً بالفعل في تحويل الظروف ويلجأ إلى إعادة بناء المدينة في حلمه، أي يعيد بناءها عبر ترييفها بعناصر الطبيعة البكرة ليشيدها منمنمةً مثاليةً خارج حدود نواميس الواقع الراهن.

٥. يتّخذ الشاعر للمدينة تقاطب الصمود والتواني معاً، فمن جانب لديها بصمات فتور وتقصير بحيث كأنّ المدينة تقوقعت ولا تعير أهميةً لما يطرأ عليها؛ من ثمّ يبادر الشاعر العتاب التشخيصيّ بتقاطب التصرّف والمواجهه ليمنح تعبيره معظم الألفاظ العنيفة في بداية النصّ ثمّ يأخذ في الهدوء والتحبيب في نهايته.

www.SID.ir

Archive of SID

٦. يوسّع الشاعر تقاطب المدينة في حالة الصمود والمقاومة؛ فهو يرد ساحة الحرب الحقيقية ويحثّ المدينة على الصمود الأكثر بمفردات تراثية وإيحائية وكذلك بطرق تعبير مشحون بالاعتزاز والبطولة.

٧. قد تدلّ المدينة على تقاطب الجوع والرخاء، بوصفهما خالجة من الخوالج الاجتماعية الّتي تقرب الشاعر توّاً من أحداث المدينة؛ فيحاول وصف الجوع وتوسعة مدلوله بأساليب انزياحية، لها أن تعرض صورة الجوع في المدينة من الأشكال المختلفة كتقنية الاشتباك الحواسيّ.

٨. لا يغمض الشاعر عن معالم رغد ورخاء قد بُنيت المدينة من أجلها بل يخلق لها مناخاً تداس فيه القيم وتنتشر الشذوذ الاجتماعية كالشهوات الجسدية والانتحار البطيء.

٩. ترتبط ا لمدينة بالزمن وتقبل تقاطب الكرونوطوبية بحيث قد يتمّ إدراك المدينة ومظاهرها الداخلية من خلال التداخل الجدليّ بينهما؛ فيحدّد الشاعر في وصف المدينة التسجيل الزمنيّ كالليلة والصباح لينقل منهما دلالةً انزياحية معاكسةً، إلى جانب تقاطب أسلوبيّ يمكن الكشف عنه في جودة تعامله مع الزمنين.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

١. أبو غالي، مختار (١٩٩٥م). *المدينة في الشعر العربيّ المعاصر*. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب.

٢. باشلار، غاستون (١٩٨٤م). *جماليات المكان*. ترجمة غالب هلسا، ط٢، بيروت: المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٣. بحراوي، حسن (١٩٩٠م). *بنية الشكل الروائيّ (الفضاء - الزمن - الشخصية)*. بيروت: المركز الثقافيّ العربيّ.

٤. برنس، جيرالد (٢٠٠٣م). *قاموس السرديات*. ترجمة السيد إمام، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.

٥. بروكمبير، جينز؛ دونال كربو (٢٠١٥م). *السرد والهوية: دراساتٌ في السيرة الذاتية والذات والثقافة*. ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، القاهرة: المركز القوميّ للترجمة.

٦. بن مسعود، وافية (٢٠١٥م). «سيميائية اللون وإستراتيجية الدلالة في رواية "أهل البياض" لمبارك ربيع». *مجلّة إنسانيات، الجزائر*، العدد ٦٧، صص٩-٣١.

٧. پورحشمتي، حامد وشهريار همّتي (١٣٩٧ش). «سيميائية قصيدة "وشم النهر على خرائط الجسد؛ الوشم الرابع" لمحمّد عفيفي مطر؛ دراسة في العتبات النصية والأساليب البصرية». *فصلية اللسان المبين*. جامعة الإمام الخميني الدولية في قزوين. السنة ٩، العدد ٣٢، صص٢٥-٥٠.

٨. توام، عبد الله (٢٠١٦م). *دلالات الفضاء الروائيّ في ظلّ معالم السيميائية؛ رواية "الان ... هنا أو شرق المتوسّط مرّةً أخرى" لعبد الرحمن منيف أنموذجاً*. أطروحة دكتوراه، إشراف هواري بلقاسم، جامعة أحمد بن بله، وهران، الجزائر.

٩. الحاوي، ايليا (١٩٧٩م). *في النقد والأدب*. ج٢، ط٤، بيروت: دار الكتاب اللبنانيّ.

١٠. حسين، خالد حسين (٢٠٠٠م). *شعرية المكان في الرواية الجديدة*. الرياض: مؤسّسة اليمامة الصحفية.

١١. حمودين، علي (لا تا). *الأدب العربيّ المعاصر: ملامح وقضايا*. جامعة قاصدي مرباح: الجزائر.

١٢. حيدري، محمود؛ صميه زارع (١٣٩٢ش). «آرمانشهردر انديشه فروغ فرّخزاد ونازك الملائكة». *نشريه ادبيات تطبيقي*، كرمان، العدد ٨، صص٥٧-٨٧.

١٣. خلف، ساجدة عبد الكريم (٢٠١٥م). «التجربة الشعرية من الرؤية إلى الموضوع؛ بحث في نماذج شعرية منتخبة». *مجلّة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، اسطنبول، العدد ٦، صص١٥١-١٧٣.

www.SID.ir

Archive of SID

١٤. درويش، وسام (٢٠١٧م). «جماليات الفضاء المدينيّ في رواية "اعترافات أسكرام" لعزّ الدين ميهوبي». *مجلّة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة*، الجزائر، العدد ٤٧، صص٢٨٧-٢٩٩.

١٥. رستم‌بور ملكي، رقية؛ فاطمة شيرزاده (٢٠١٢م). «التقاطب المكانيّ في قصائد محمود درويش الحديثة». *مجلّة دراسات في اللغة العربية وآدابها*، جامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة، العدد ٩، صص٥٣-٧٦.

١٦. روشنفكر، كبري؛ حامد پورحشمتي (١٤٣٩هـ). «أظلال صورة بيروت في شعر محمود درويش». *مجلّة اللغة العربية وآدابها*، قم، السنة ١٤، العدد ١، صص١-١٦.

١٧. شحاتة، محمّد سعد (٢٠٠٣م). *العلاقات النحوية وتشكيل الصورة الشعرية عند محمّد عفيفي مطر*. القاهرة: الهيئة العامّة لقصور الثقافة.

١٨. صالح، صلاح (٢٠١٤م). *المدينة الضحلة؛ تثريب المدينة في الرواية العربية*. دمشق: الهيئة العامّة السورية للكتّاب.

١٩. عبّاس، إحسان (١٩٧٨م). *اتّجاهات الشعر العربيّ المعاصر*. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب.

٢٠. عبد الله، علي محمّد علي (٢٠٠٢م). *المحميات الطبيعية والسياحية البيئية في مصر*. مصر: دار نهضة مصر للنشر.

٢١. عبده، محمّد صالح ناجي (٢٠١٣م). *توظيف الليل في الشعر العربيّ المعاصر*. أطروحة دكتوراه، إشراف السعيد الباز وعبد الرحمن فودة، القاهرة: جامعة القاهرة.

٢٢. عبيدي، مهدي (٢٠١١م). *جماليات المكان في ثلاثية حنامينه (حكاية بحار - الدقل - المرفأ البعيد)*. دمشق: الهيئة العامّة السورية للكتّاب.

٢٣. عزّام، محمّد (٢٠٠٥م). *شعرية الخطاب السرديّ*. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.

٢٤. عفيفي مطر، محمّد (١٩٩٨م). *الأعمال الشعرية*. ج١و٢و٣، القاهرة: دار الشروق.

٢٥. عصفور، جابر (٢٠٠٩م). *في محبّة الشعر*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

٢٦. عقاق، قادة (٢٠٠١م). *دلالة المدينة في الخطاب الشعريّ العربيّ المعاصر؛ دراسة في إشكالية التلقّي الجماليّ للمكان*. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.

٢٧. عياد، شكري محمّد (١٩٨٨م). *اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربيّ*. القاهرة: مطبعة انترناشيونال برس.

٢٨. قاسم، سيزا (٢٠٠٤م). *بناء الرواية؛ دراسة مقارنة في «ثلاثية» نجيب محفوظ*. مصر: مكتبة الأسرة.

www.SID.ir

Archive of SID

٢٩. قربانزاده، بهروز؛ جواد محمّدزاده؛ رسول فتحي (١٤٣٩هـ). «أسلوبية الانزياح في ديوان "اللزوميات" لأبي العلاء المعرّي (على أساس نظرية جان كوهن)». *مجلّة اللغة العربية وآدابها*، قم، السنة ١٤، العدد ١، صص٨٧-١١٣.

٣٠. قرباني، جواد؛ رسول عبّاسي (١٣٨٦ش). «تقابل شهر وروستا در شعر معاصر عرب وفارسي به ويژه در آثار بدر شاكر السياب (شاعر عرب) وقيصر امين‌پور (شاعر پارسي‌گوي)». **فصل‌نامه تخصّصي ادبيات فارسي دانشگاه آزاد**، مشهد، العدد ١٥و١٦، صص٣٠٦-٣١٧.

٣١. مجناح، جمال (٢٠٠٨م). *دلالات المكان في الشعر الفلسطينيّ المعاصر بعد ١٩٧٠*. أطروحة دكتوراه، إشراف العربي دحو، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

٣٢. مقبول، إدريس (٢٠١٦م). «المدينة العربية الحديثة قراءة سوسيولسانية في أعراض مرض التمدّن». *مجلّة عمران*، العدد ١٦، صص٤٧-٧٦.

٣٣. موسى، إبراهيم نمر (٢٠٠٥م). *آفاق الرؤيا الشعرية: دراساتٌ في أنواع التناصّ في الشعر الفلسطينيّ المعاصر*. فلسطين: الهيئة العامّة للكتّاب.

٣٤. نجفي إيوكي، علي (١٤٣٧هـ). «تراسل الحواسّ وأشكاله في شعر عبد المعطي حجازي». *مجلّة اللغة العربية وآدابها*، قم، السنة ١٢، العدد ١، صص٤٩-٦٩.

٣٥. همّتي، شهريار وحامد پورحشمتي (٢٠١٨). «سردية الأمكنة المغلقة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ "المقبرة" و"المقهى" نموذجاً». *مجلّة إضاءات نقدية في كرج*، السنة ٨، العدد ٣٠: صص٨٥-١١٤.

٣٦. همّتي، شهريار وحامد پورحشمتي (٢٠١٩م). «ثنائية الأمكنة المغلقة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ دراسة سردية في "البيت" و"السجن" نموذجاً». *مجلّة دراسات في اللغة العربية وآدابها*، جامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة، السنة ٩، العدد ٢٨: صص١٢٩-١٤٨.

37. Weisgerber, Jeam (1978). **L'Espace romanesque**. Lausane, Ed L, Âge d'Homme.

Sources

1. Abbas, Ihsan (1978). Trends in contemporary Arabic poetry. Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Literature.
2. Abdi, Mahdi (2011). The aesthetics of the place in the three Hanaminah (The story of the sailor - Dukal - the far harbor). Damascus: The Syrian General Organization for Writers.
3. Abdo, Muhammad Salih Naji (2013). The use of the night in contemporary Arabic poetry. PhD thesis, supervised by Saeed Al-Baz and Abdel-Rahman Fouda, Cairo: Cairo University.
4. Abdullah, Ali Muhammad Ali (2002). Nature reserves and eco-tourism in Egypt. Egypt: Nahdet Misr Publishing House.

www.SID.ir

Archive of SID

5. Abu Ghaly, Mukhtar (1995). The City in Contemporary Arabic Poetry. Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Literature.
6. Afifi Matar, Muhammad (1998). Poetic works. Vol 1, 2, 3, Cairo: Dar Shorouq.
7. Aghagh, Ghadat (2001). The significance of the city in contemporary Arab poetic discourse; a study in the problem of aesthetic reception of place. Damascus: Publications of the Arab Writers Union.
8. Al-Hawi, Elia (1979). In criticism and literature. Volume 2, 4th Ed., Beirut: The Lebanese Book House.
9. Asfour, Jaber (2009). In the love of poetry. Cairo: The Egyptian Lebanese House.
10. Ayyad, Shokri Muhammad (1988). Language and creativity: principles of Arabic stylistics. Cairo: International Press.
11. Azzam, Muhammad (2005). The Poetics of Narrative Discourse. Damascus: Publications of the Arab Writers Union.
12. Bachelard, Gaston (1984). Aesthetics of the place. Translated by Ghalib Helsa, 2nd Edition, Beirut: The University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
13. Bahrawi, Hassan (1990). Structure of the novelistic form (space - time - character). 1Beirut: The Arab Cultural Center.
14. Ben Masoud, Wafie (2015). «The semiotics of color and the strategy of connotation in the novel "The People of Al-Bayyad" by Mubarak Rabi`. Humanities magazine, Algeria, (67), pp. 9-31.
15. Darwish, Wissam (2017). "The beauty of the civil space in the narration of Confessions of Honor for La'z-ud-Din Mahoobi". Journal of Humanities, Al-Ikhwa Menturi University of Constantinople, Algeria, (47), Volume B, pp. 287-299.
16. Ghorbani, Javad; Rasool Abbasi (2007). "The contrast between city and village in contemporary Arabic and Persian poetry, especially in the works of Badr Shakir al-Sayyab (Arab poet) and Qaisar Aminpour (Persian poet). Journal of Persian Literature, Azad University, Mashhad, (15-16), pp. 317-306.
17. Ghorbanzadeh, Behrouz; Javad Mohammadzadeh; Rasool Fathi (2018). "Displacement Methodology in the Divan of "alloomiyat" by Abu Ala Al-Maari (based on Jean Cohen's theory). Journal of Arabic Language and Literature, Qom, 14(1), pp. 87-113.
18. Hammoudin, Ali (n.d.). Contemporary Arabic Literature: Features and Issues. Qasidi Merbah University: Algeria.
19. Hemmati, Shahriyar; Hamed Poorheshmati (2018). "Narrative of closed places in the poem of Muhammad Afifi Matar (the cemetery and cafe for example). Rays of criticism in Arabic and Persian, 8(30), pp. 85-114.
20. Hemmati, Shahriyar; Hamed poorheshmati (2019). "The Polarity of Enclosed Spaces in the Poetry of Mohammad Afifi Matar; the Cases of The House and The Prison". Journal of Studies on Arabic Language and Literature, by Semnan University of Iran in cooperation with the Tishrin University of Syria, 9(28): pp. 129-148.
21. Heydari, Mahmoud; Somayye zare (1392). "The ideal of the city in the thought of Forough Farrokhzad and Nazik Al-Malaika". Journal of Comparative Literature, Kerman, (8), pp. 57-87.
22. Hussein, Khaled Hussein (2000). Poetry of place in the new novel. Riyadh: Al-Yamamah Press Foundation.
23. Khalaf, Sajidah Abdul Karim (2015). "The poetic experience from sight to subject; Debate in the selection of selected poetry". Journal of Humanities and Social

www.SID.ir

Archive of SID

Sciences, Istanbul, (6), pp. 151-173.
24. Maqbool, Idris (2016). "The modern Arab city, a sociological reading in the symptoms of urbanism". Imran Magazine, (16), pp. 47-76.
25. Mojnah, Jamal (2008). Signs of place in contemporary Palestinian poetry after 1970. PhD thesis, supervised by Elaraby Dahou, El Hadj Lakhdar University, Batna, Algeria.
26. Moses, Ibrahim Nimer (2005). Perspectives of a poetic vision: Studies on the types of intertextuality in contemporary Palestinian poetry. Palestine: The General Assembly of Writers.
27. Najafi ivaki, Ali (2016). "Tapes of Synesthesia in Ahmad Abdol mohti Hejazi Poetry". Journal of Arabic Language and Literature, Qom, 12(1), pp. 69-49.
28. Poorhashemti, Hamed, Shahriyar Hemmati. (2018). "Semiotic study of the ode tattooing river images on the body depictions: the fourth tattoo by Muhammad Afifi Matar (investigation of textuality network and visual methods)". Journal of Lesan Mobeen, Imam Khomeini International University in Qazvin. 9(32): pp. 50-25.
29. Prince, Gerald (2003). A Dictionary of Narratology. Translated by Aseyyed Imam, Cairo: The Citation Merit of Scientific Publications.
30. Prokmeier, Jens; Donal Carbo (2015). Narrative and Identity: Studies in Autobiography, Self and Culture. Translated by Abdel-Maqsoud Abdel-Karim, Cairo: The National Center for Translation.
31. Qasim, Siza (2004). Narrative building; a comparative study in the "Trio" of Naguib Mahfouz. Egypt: Al-Osra Library.
32. Roshanfekr, Kobra; Hamed Poorheshmati (2018). "Picture shadows of Beirut in Mahmoud Darwish poetry". Journal of Arabic Language and Literature, Qom, Year 14, Issue 1, pp. 1-16.
33. Rostampour Maleki, Roghayeh; Fatemeh Shirzadeh (2012). "Locational Contrasts in Mohmud Darwish Poetry". Journal of "Studies on Arabic Language and Literature", Semnan University of Iran in cooperation with the Tishrin University of Syria, (9), pp. 76-53.
34. Saleh, Salah (2014). Shallow city; Blame the city in the Arabic narration. Damascus: The Syrian General Organization for Writers.
35. Shehata, Muhammad Saad (2003). Grammatical relationships and the formation of poetic image according to Muhammad Afifi Matar. Cairo: The General Authority for Cultural Palaces.
36. Tawam, Abdullah (2016). The indications of the narrative space in light of the semiotic features; Novel "Now ... Here or the Eastern Mediterranean Again" by Abdul Rahman Munif as a model. PhD thesis, supervised by Houari Belkacem, Ahmed Ben Bella University - Oran, Algeria.
37. Weisgerber, Jeam (1978). The romantic space. Lausane, Ed L, Age of Man.

www.SID.ir